عمرو خالد



عبادات التفكّر

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers



الاسم: عمرو محمد حلمي خالد.

تاريخ الميلاد: الخامس من أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٦٧-الإسكندرية.

المؤهلات: بكالوريوس تجارة من جامعة القاهرة سنة ١٩٨٨، دبلوم في الدراسات الإسلامية من معهد الدراسات الإسلامية سنة ٢٠٠١.

المهنة: مراجع حسابات وشريك بمكتب مراجعة وعضو جمعية المحاسبين والمراجعين المصرية.

الحالة الاجتماعية: متزوج و زوجته مدرس مساعد بكلية الفنون التطبيقية ولديه ولد واحد اسمه عليّ.

الدراسات الحرة: يحضر لدراسة الدكتوراة في السيرة النبوية من جامعة ويلز بإنجلترا.

الهوايات: كرة القدم (كان أحد ناشئي النادي الأهلي تحت ١٨ سنة)، جميع ألعاب كرة المضرب خاصة الراكت.

يلقي الأستاذ عمرو خالد محاضرات أسبوعية في مساجد القاهرة، كما يشارك في برامج تلفزيونية عديدة في مجال الدعوة الإسلامية، وقد شارك بإقامة ندوات في عدد من الدول العربية في المجال نفسه.

www.amrkhaled.net

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers
www.asp.com.lb
ص.ب. 13-5574 شوران 2050-1102 بيروت - لبنان
هاتف 785107/8 (1-961+) فاكس 786230 (1-961+)
asp@asp.com.lb

ISBN 9953-29-601-4
9789953296012

بسم الله الرحمن الرحيم

عمرو خالد

عبادات التفكُّر

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

الطبعة الأولى
1424 هـ - 2004 م

ISBN 9953-29-601-4

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

عين التينة، شارع ساقية الجنزير، بناية الريم
هاتف: 786233 - 860138 - 785108 - 785107 (1-961)
فاكس: 786230 (1-961) ص.ب. 5574-13 بيروت - لبنان
البريد الالكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الانترنت: http://www.asp.com.lb

تمت الطباعة في:
مطبعة المتوسط
هاتف: 860138 (1-961) - بيروت - لبنان

المحتويات

الباب الأول

التفكّر في خلق الكون

ما يصلح القلب اليوم، وهي في الحقيقة عبارة قلبية لا تمارس إلا بالقلب وقد تشارك فيها العين، وهي عبادة وللأسف قد هجرها الناس.. حتى اندثرت.. تخيّل عندما نقول عبادة أمر بها الله وهذه العبادة اندثرت فتخيّل حال البشرية إلى أين قد وصل.. أن نقول هذه العبادة اندثرت! وهي فعلاً اندثرت، وسنحاول اليوم إحياءها في أنفسنا وفي كل من سنحدثهم عن هذه العبادة.. عبادة هجرها الناس إلا القليل القليل الذي يمارسها، وإذا مارسها، مارسها على فترات متباعدة، وإنما ينبغي أن تمارس باستمرار..

هذه العبادة فعلها الأنبياء، وانتهجها الرسول ﷺ حتى صارت صفة ملازمة له ﷺ...

بها يعرف الله، بهذه العبادة يعرف الله، فهي الدليل على الله عز وجل.

هل عرفتم هذه العبادة أم ليس بعد؟.. إنها عبادة التفكّر في خلق الله...

التفكّر في خلق الله، عبادة من أعظم العبادات، بها يدخل الناس على الله... هل وقفت في حياتك أمام منظر تتعمد من النظر فيه والتأول فيه أن تشاهد جلال الله عز وجل... حتى يقول قلبك بقوة: لا إله إلا الله.. يصرح بها القلب من جلال روعة وعظمة خلق الله عز وجل...

هل مارست هذه العبادة في حياتك؟

هل مارستها كثيراً؟

بهذه العبادة تُترك المعاصي، وبهذه العبادة يُحب الله عز وجل، وبهذه العبادة نعرف مراد الله من الكون، وبهذه العبادة يرق القلب ويتصل بالخالق عز وجل.. عبادة التفكّر في خلق الله..

لماذا نتفكّر؟..

لأن هذه العبادة هي الباب الموصل إلى الله عز وجل...

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: معرفة الله سبحانه نوعان:

الأول: معرفة إقرار بوجوده وهذه يشترك فيها البر والفاجر والمطيع والعاصي، فكل الناس يقولون: إن الله موجود... وهذا هو

النوع الأول من المعرفة.. وليس هذا ما نبحث عنه..

الثاني: معرفة حياء ومحبة وشوق وأنس واتصال ورغبة ورهبة وخشية وإقبال، وهذه يفتح الله تعالى بها على من أراد أن يعرفه به هذه المعرفة فتوحات جليلة...

إيّاك أن تكون من أصحاب النوع الأول في المعرفة بالله، وللأسف يا إخوتي أغلب نسائنا ورجالنا وشبابنا، معرفته بالله تعالى الخالق هي المعرفة الأولى... ربما موجود وحين تمر به فترة عصيبة يدعو.. وغير هذا فالمعرفة سطحية.. وربما يكون أعرف بأبيه وأمه من معرفته بالله... وربما يكون أعرف بأنثى يعرفها بشكل لا يرضى به الله ورسوله أكثر من معرفته بالله... تسأله عن أنثى يريد أن يكون بينه وبينها علاقة، فيقول لك تفاصيل شخصيتها وكيف تفكر وما الذي يسعدها وما الذي يغضبها وكيف هو يكسب رضاها.. لكن إن سألته عن المولى عز وجل تبدو علامات التعجب على وجهه.. نعم ربنا الذي خلقنا.. ليست هذه هي المعرفة التي يرضاها الله.

أنت لم تخلق لكي تعرف الله هذه المعرفة، خلقنا لكي نستشعر الحياء والذل والحب والخشية والشوق والأنس والاتصال، وكل هذه المعاني هي المعرفة الحقيقية، ويتفاوت الناس في معرفتهم لله هذه المعرفة، تفاوتاً لا يعلمه إلا الله عز وجل.. وهذا التفاوت يحصل بناءً

على العبادة التي نتكلم عنها.. فبقدر ما تتفكر في خلق الله وفي بديع صنع الله عز وجل، بقدر ما يفتح على قلبك بمعرفته... فكلما تقرّب وتعمل ذهنك أكثر – ألم تفضل على الحيوان بالعقل، لماذا؟ لأن هذا هو رقيك إلى الله عز وجل –، كلما أشركت العقل أكثر في معرفة المولى كلما أحببته أكثر وكلما فتح عليك أكثر.

على قدر حمل نفسك وعقلك على إجلال الله عز وجل على قدر قربك من الله أكثر وأكثر وأكثر... ولهذا فإن هذه المعرفة لن تتحقق بشكل كامل إلا بعبادة التفكر والتعظيم.. عبادة ليس للبدن فيها نصيب، كلها في قلبك...

كيف نصل إلى معرفة الله؟..

نصل إلى معرفة الله بطريقين:

الأول: كتاب الله المقروء وهو القرآن.

الثاني: كتاب الله المنظور وهو صفحة الكون.. لكي لا يكون لمن لا يجيد القراءة والكتابة حجة على الله، فيقول: لم أعرفك لأنني لا أجيد القراءة والكتابة.. لم أفهم.. ألم تنظر.. أفلم ينظروا، أفلم يسمعوا، أفلم يروا.. انظر حولك وانظر إلى بديع صنع الخالق، كتاب الله المقروء وكتاب الله المنظور الذي لم يعط الفرصة لأحد حتى يقول: لم أقدر...

قيمة هذه العبادة

النبي ﷺ، كيف صار نبياً؟؟ المراحل الأخيرة للنبي ﷺ قبل البعثة كانت عبارة عن تأمل وتفكر، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها في الحديث الذي تروي فيه بدء الوحي، تقول ".. ثم حبب إليه الخلاء، فكان يذهب إلى غار حراء يتحنث فيه – أي يتعبّد – الليالي ذوات العدد.."[1].

هل تعرف مكان غار حراء؟.. غار حراء مكان موحش، وكيف وصل النبي ﷺ لهذا المكان، مكان لا يراك فيه بشر، أنت والسماء والكون متّسع أمام عينيك يعجز الشباب الأقوياء من الوصول إلى غار حراء بسهولة.. لكن كيف وصل النبي ﷺ إلى هذا المكان، وكيف كان يتعبّد فيه؟ كيف حبّب إليه الخلاء في هذا المكان؟ ويبقى فيه الليالي ذوات العدد – يعني أياماً كثيرة وهو في هذا المكان، ماذا كان يفعل؟!.. يتعبّد، أي عبادة؟ لم تكن الصلاة موجودة، ولا صيام، فأي عبادة عرفها النبي ﷺ قبل أن يكون نبياً؟ إنها عبادة التأمل!.. عبادة التفكّر في خلق الله... يبقى أياماً طويلة يتفكّر! كان ذلك إعداداً لرسول الله ﷺ، كان لا بد من تفكّر طويل لكي يكون مستعداً لكي تلقى عليه الرسالة... وأكثر من ذلك، إذا

(1) أخرجه البخاري (3)، ومسلم (160) عن عائشة رضي الله عنها.

أردت أن تكون قريباً من الله تحتاج لإعداد نفسي طويل بتفكر في خلق الله، بنظر في صفحة الكون...

ولذلك يقول بعض الناس: أنا أنتظر الصيف لأصيف، وأنا أقول: مَن كان تقياً لله عز وجل ويسافر بهذه النية التي لن يستطيع فعلها في مصر بشكل جيد.. فلتكن نية سفره أنا مسافر لأشاهد خلقك يا رب. وأتعبد إليك عبادة لا أستطيع أن أؤديها كما ينبغي في بلدي، فيتحوّل صيفك إلى عبادة لله عز وجل، لا أحد يستطيع أن يقول إنه يحرم عليك أن تصيف!! لكن ما الذي ستفعله في المصيف؟ هذا هو الحرام، فكيف ستحول مصيفك إلى قربة لله عز وجل.. هذه هي عبادة التفكر والتأمل والتي بها أعد النبي ﷺ ليكون نبياً.. تريد أن تقترب إلى الله؟ مارس عبادة النبي ﷺ.

ليس النبي ﷺ فقط، بل باقي الأنبياء كذلك، انظر إلى إبراهيم عليه السلام، يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: 75] فكلما تتفكر أكثر يزداد يقينك، وكانت هذه العبادة أيضاً عبادة النبي إبراهيم عليه السلام.

جاء بلال ليلاً بينما النبي ﷺ يصلي، وقد سئلت السيدة عائشة عن هذه الليلة، أي أمر رسول الله كان أعجب؟ فقالت رضي الله

عنها وأي أمره لم يكن عجباً، لكن إن سألتم أخبركم عن أعجب ليلة.. قام يصلي فبكى حتى بللت دموعه لحيته، ثم ركع فبكى، ثم سجد فبكى حتى أتاه بلال يؤذنه لصلاة الفجر، فنظر بلال فوجده يبكي فقال: ما يبكيك يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟؟ فقال النبي ﷺ: "أفلا أكون عبداً شكوراً وكيف لا أبكي وقد أنزل عليّ الليلة هذه الآية ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿190﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ بكى النبي ﷺ لهذه الآيات ثم قال: "ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكّر فيها"[1].

يقول النبي ﷺ: "تفكروا في خلق الله.."[2] إذا كنتم تريدون معرفة الله فتفكّروا في خلقه.. فلا يعقل أن يكون عمرك عشرين أو

---

(1) آل عمران، 190-191 والحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه (620).

(2) أخرج هذه القطعة الأولى من الحديث هنا وفي الزهد (945) عن عمرو بن مرة، وابن حبان في المجروحين (83/3) عن ابن عمر، والقزويني في التدوين (280/1) عن أبي هريرة، وأبو نعيم في الحلية (67/6) عن عبد الله بن سلام، والديلمي في الفردوس (2318) عن ابن عباس، والأصبهاني في العظمة (215/1) عن أبي ذر رضي الله عن الجميع، وانظر: كشف الخفاء (371/1).

ثلاثين عاماً و لم تجلس في حياتك تناجي الله وتتفكّر في عظيم خلقه وجلال الله عز وجل.. أيعقل هذا.. وهل خلق الإنسان وكرم بالعقل للأكل والشرب والتفكير في الشهوات فقط؟ لماذا خلق الله للإنسان العقل؟ ليستخدم بماذا؟ ما هي القيمة الأولى التي خلق من أجلها؟.. ليعرف الله عز وجل... فلا وزن للعقل إذا لم يهتم بما خلق من أجله، والواقع المشاهد أن العقل انصرف للاهتمام بما كُفِل له، اهتم بالرزق وقد كفل له، واهتم بالشهوات وقد نهي عنها ونسي ما خلق من أجله وهو معرفة الله والاتصال بالله عز وجل، "تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره"[1].

سئلت أم الدرداء – الصحابية الجليلة –: ما كان أفضل عمل أبي الدرداء؟ قالت: التفكُّر والاعتبار[2]... وهل أفضل عبادة لأبي الدرداء هي التفكّر في خلق الله.. انظر كم هي منسية هذه العبادة.

قال عامر بن عبد قيس: سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة أو أكثر من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: "إن نور الإيمان

(1) بهذا السياق أخرجه الديلمي في الفردوس (2318) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر: كشف الخفاء (371/1).

(2) أخرجه ابن المبارك في الزهد (286)، وابن أبي عاصم في الزهد (ص/135)، وأبو نعيم في الحلية (208/1).

التفكر"[1]. إذا أردت أن يشرق الإيمان في قلبك فتفكر في خلق الله.. "إن نور الإيمان التفكر"... انظروا كم اندثرت هذه العبادة.. عبادة عظيمة، ولا أحد يفعلها في الكون إلا القليل.

قال الحسن: "تفكُّر ساعة خير من قيام ليلة"[2].. تخيّل حين يقول الحسن هذه الجملة فيكون قاصداً لها: "تفكر ساعة.." تجلس في غرفتك بينك وبين نفسك تشاهد خلق الله في نفسك، أو تجلس أمام البحر، أو تستيقظ لصلاة الفجر وتراقب شروق الشمس وتتأمل كيف يولج الله الليل من النهار ويولج النهار من الليل، تفكر ساعة خير من قيام ليلة.

قال عمر بن عبد العزيز: "التأمل في نعم الله من أفضل العبادة"[3]. فمن أفضل العبادات أن تتأمل في نعم الله.

لذلك تجد أن القرآن دائماً يدعوك إلى إعمال العقل، يقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ (17) وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ (18) وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ (19) وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ

(1) انظر: تفسير ابن كثير (439/1).

(2) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (35223)، وابن أبي عاصم في الزهد (ص/272).

(3) أخرجه أبو نعيم في الحلية (314/5).

كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: 17-20] ذكرهم ودعهم يتفكّروا في هذا الخلق العظيم..

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ (3) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (4) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية: 3-5].. كل هذه لا تهزك من الداخل... ألم تهز معجزة في الليل وفي النهار وجدانك من الداخل في حياتك؟ ألم يؤثر منظر الشروق والسحب واختلافها ومناظرها في قلبك.. ألم يجعل تسبيح الطير قلبك ولسانك يلهج بتسبيح الله عز وجل... ما هذا القلب القاسي..

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 164].. كل هذا لا يثير مشاعرك... كل هذه الآيات من كثرة اعتيادك عليها لم يعد شيءٌ منها يثير قلبك؟.. تنبهوا يا إخوتي فإن من أسوأ ما يصيب بني آدم أن يألف نعم الله عز وجل.. من

أسوأ الأشياء أن تألف النعمة، وقد عاب الله عز وجل هذا على قريش عيباً شديداً إلف النعمة فقال تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ [قريش: 1-2] ألفوا رحلة الشتاء والصيف.. فجاءهم النداء أن استيقظوا من إلف النعمة وجددوا النظر فيها.. فقال لهم في آخر السورة: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 3-4].

اعلموا أن كل شيء في الوجود من خلق الله عز وجل يجب أن تنظروا فيه وتعتبروا فيه...

فلتفكر ونبدأ شيئاً فشيئاً... سنبدأ ببدء الكون، ثم ندخل على السماوات، ثم ننزل على الأرض، ثم ننظر إلى الطيور والحيوانات، ثم نتكلم عن أنفسنا وكل جزئيه فيها آلاف بل ملايين الآيات...

فلنبدأ ونسأل كيف بدأ الكون؟

فلنتفكّر في هذا المعنى، فلنتفكّر سوياً ونمارس هذه العبادة دوماً، ويصبح لقاؤنا لقاء عملياً ونمارس فيه هذه العبادة.. أول عبادة نبدأ بها في التفكر هي التفكر كيف بدأ الخلق.. اقرأ هذه الآيات والأحاديث وتفكر في جلال الله عز وجل..

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ...﴾ [العنكبوت: 20] تفكر كيف بدأ ومن

الموجد.. يا من ظننتم أنكم أنتم من صنع الحضارة، يا من تظنون أن بأيديكم قيادة البشرية، من الذي بدأ الخلق؟ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر: 62] ألا تحتاج منك هذه الآية إلى تفكّر؟...

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: جاء وفد اليمن إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك كيف كان أول هذا الأمر؟

ماذا يقصدون؟.. كيف بدأ الخلق؟ وكأنهم يقولون: يا رسول الله أخبرنا كيف بدأ الخلق؟ – وهذا الحديث رواه البخاري – فقال النبي ﷺ: "كان الله وحده.." – لا إله إلا الله –.. انظر لضعفك وشديد تجبرك على الله عز وجل. فهناك ست مليارات نسمة وثلاثة أرباعهم يكفرون بالله!.. والربع الباقي وهم المسلمون، الله وحده يعلم كيف حال إسلامهم.. وبعد هذا كلّه يظنون أننا نحن من أنشأ هذه الحضارة!.. وما نحن؟.. نحن فقراء جداً..

كيف كان أول هذا الأمر؟ فقال ﷺ: "كان الله وحده، ولم يكن شيء قبله.."[1] وفي رواية أخرى: "كان الله ولم يكن شيء

(1) أخرجه البخاري (7418).

غيره"[1]... ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾ كل شيء..

حديث النبي ﷺ: "إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة"[2].. انظر إلى عظيم علم الله وقدرة الله.. ألا تتفكّر في ضعفك وتستمد من قوة الله تبارك وتعالى عزّك..

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي ثم قال: – وبدأ النبي يخبر أبا هريرة قصة بدء الخلق – فقال له: "خلق الله التربة في يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبثّ فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد عصر يوم الجمعة.."[3]. ولهذا كان في يوم الجمعة ساعة يستجاب فيها الدعاء. هذا لكي نعرف بداية هذا الخلق، والآن تتفكر معي من أنت؟ من القوي في الأرض، من الذي بيده ملكوت كل شيء، من الذي يجير ولا يجار عليه، من القاهر فوق عباده... أرأيت كيف بدأ الخلق؟

(1) أخرجه البخاري (3192) عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

(2) أخرجه أبو داود (4700)، والترمذي (2155)، وأحمد (22197) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(3) أخرجه مسلم (2789)، وأحمد (8141).

أنت، بهذا عرفت اسم الله الأول، فلنتفكّر في النهاية...

.. إلى أي شيء ينتهي هذا الخلق؟.. عبد الله بن المبارك يقول: "دخلت على رجل آخر – وهو من التابعين أيضاً – فقلت له – وقد وجدته يتأمل –: أين وصلت، فقال: وصلت إلى الصراط" فلنتفكر سوياً في نهاية هذا الكون وانظر ما حجم شهواتك ولذاتك ومعاصيك ودنياك كلها..

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ...﴾ [الزمر: 68] نفخة واحدة تفني البشر والجبال والسماوات والأرض والطيور! البشر والتكنولوجيا وكل ما وصلنا إليه يفنى بنفخة واحدة.. كل شيء يفنى بنفخة واحدة.. فما أضعفك أيها الإنسان.. بنفخة واحدة يفنى كل شيء.. ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ...﴾ وهم: جبريل وميكائيل وإسرافيل – الذي ينفخ في الصور – وملك الموت. وينادي الله تبارك وتعالى: يا ملك الموت من بقي؟ أرأيت كيف ابتدأ الكل وكيف سينتهون... سيعود الله وحده ثانية – لا إله إلا الله –، من بقي يا ملك الموت؟ بقي عبدك جبريل ميكائيل وإسرافيل وعبدك ملك الموت.. يا ملك الموت اقبض روح جبريل، وتقبض روح جبريل ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾

[الرحمن: 26]. من بقي يا ملك الموت؟ إسرافيل وميكائيل وعبدك ملك الموت، يا ملك الموت اقبض روح إسرافيل وتقبض روح إسرافيل، من بقي؟ ميكائيل وعبدك ملك الموت، اقبض روح ميكائيل، من بقي؟ عبدك يا رب ملك الموت، يا ملك الموت اقبض روحك وقبض ملك الموت روحه، من بقي؟ الله وحده. وينادي الله تبارك وتعالى لمن الملك اليوم، لمن الملك اليوم، لمن الملك اليوم؟! جاء في الحديث: "فينادي الله تبارك وتعالى لمن الملك اليوم أربعين؟.. أربعين ماذا؟ يوم أم سنة أم شهر أم مليون سنة؟ لم يعد للزمن من قيمة، فالله هو وحده ولا زمن ولا مكان مع الله عز وجل – ".. لمن الملك اليوم فلا يجيب أحد" لأنه لا يوجد أحد.. فيقول الله عز وجل: "الملك اليوم لله الواحد القهار"[1] سبحان الله... أرأيتم اسم الأول والآخر؟ أرأيتم كيف بدأ الكون وكيف انتهى الكون؟

إخوتي إن هذه النقطة محتاجة لتفكر كثير، والله يا إخوتي لو تفكرنا في عظمة الله كما ينبغي لما عصينا الله عز وجل...

فلنتفكر في أمر آخر، فلننظر إلى السماوات، فلننظر إلى

---

(1) أخرجه ابن راهويه في مسنده (87/1)، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (222/2)، والبيهقي في الشعب (311/1)، وانظر: تفسير ابن كثير (147/2 – 148).

السماوات من فوق ونسأل العلماء الذين اكتشفوا ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟...﴾ [فاطر: 28] فلنبدأ من الشمس، فالشمس هي مصدر طاقتنا، ولولا الشمس لما كان هناك حياة على الأرض، كيف يصل إلينا ضوؤها وحرارتها، اسمع هذه المعلومات عن الشمس حتى تعرف ربك وتعرف قدرة الله عز وجل وملك الله عز وجل..

يقول العلماء: إن الشمس في تفاعل نووي مستمر ما بين ستمائة وخمسين مليون طن هيدروجين مع ستمائة وخمسين مليون طن هيليوم ينتج عن هذا التفاعل حرارة درجتها سبع وعشرين مليون درجة، منها أربعمائة تزليون وات في كل ثانية، أتتخيل حجم الطاقة الناتجة عن الشمس! حجمها أكبر من حجم الأرض بمليون ومائتي مرة، وهي تبعد عن الأرض ثلاثة وتسعين مليون ميلاً - تخيّل عظم خلق الله - ومع ذلك يصل ضوؤها إلينا في ثمانية دقائق فقط.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ [الأنعام: 96] يقول العلماء: إن الشمس تتحرك بسرعة عجيبة فهي تقطع في ثانية واحدة ما يقطعه الإنسان الماشي في خمسمائة سنة، أتتخيل هذه السرعة الفائقة!.. اسمع قول الله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: 38] وتأمل كلمة تجري وليس تتحرك!.. سبحانه وتعالى.. فانظر إلى قدرة الله في هذه الشمس...

ولنتأمل في المجموعة الشمسية أو جزء من المجموعة الشمسية، المجموعة الشمسية تضم تسعة كواكب كلنا نعرفهم: عطارد، والمشتري، وزحل ونبتون وبلوتون.. تسعة كواكب منهم الأرض التي نعيش فيها ضمن مجموعة اسمها: المجموعة الشمسية، تدور كلها حول الشمس..

المجموعة الشمسية والتي نحن فيها والتي تبعد عنا الشمس فيها ثلاثة وتسعين مليون ميلاً كلها جزء صغير من مجرة تضم مائتي بليون نجماً، والشمس واحدة منهم، هل تتخيل هذا المدى الشاسع، والمجرة التي نعيش فيها اسمها مجرة درب التبانة، وهي واحدة من مائة ألف مجرة اكتشفها العلماء حتى الآن... أريدك أن تنظر لملك الله... فمن أنت أيها المخلوق الضعيف حتى تعصي الله؟! من أنت؟.. انظر إلى ملك الله عز وجل.. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67]..

فالأرض تساوي نقطة في المجموعة الشمسية، والمجموعة الشمسية تساوي نقطة في المجرة، ومجرة درب التبانة تساوي نقطة في آلاف المجرات، وآلاف المجرات تساوي نقطة في السماء الأولى. أنت كم تساوي في ملك الله عز وجل... انظر كم حجمك وكيف

تعصي...؟ أرأيت التفكّر في خلق الله إلى ماذا يوصلك؟!..

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، يقول عبد الله بن عمر: رأيت النبي ﷺ وهو على المنبر يقول: "يأخذ الله عز وجل سماواته وأرضيه بيديه فيقول: أنا الله - ويقبض أصابعه ويبسطها - أنا الملك، أنا الجبار" يقول ابن عمر: حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله ﷺ[1] - المنبر الخشبي ارتعش لجلال الله عز وجل - وابن عمر يقول: سيقع بالنبي ﷺ المنبر ولا يقع والنبي ﷺ يرفع صوته يذكر أسماء الله الحسنى.

فالخشب والجماد يتحرك لجلال الله عز وجل.. والقلوب قست، القلوب جامدة لا تخشع لله عز وجل، الجماد شعر وقلوبنا لم تشعر.. انظر لملك الله العظيم، يقول العلماء - حتى تعرف هذا الملك الهائل -: حتى تدور الشمس دورة كاملة حول مركز التبانة فهي تحتاج لمئتين وخمسين مليون سنة.. ما هذا؟.. وأين المجرة من باقي المجرات، وما بالك بالمجرات التي لم تكتشف!..

(1) أخرجه مسلم (2788)، وابن ماجه (198).

اسمع حديث النبي ﷺ حتى تفهم، والحديث بما معناه أن "ما السماء الأولى في السماء الثانية ما هي إلا كحبة في صحراء" - من علمك يا رسول الله - وما السماء الثانية في الثالثة، وانظر إلى ملك الله كيف يتّسع، إلا كحبة في صحراء، وما الثالثة في الرابعة إلا كحبة في صحراء، فمن السماء الرابعة ليروا السماء الأولى يحتاجون لمجهر، فكيف ترى أنت؟ وما السماء الرابعة في الخامسة إلا كحبة في صحراء، وما الخامسة في السادسة إلا كحبة في صحراء، وما السادسة في السابعة إلا كحبة في صحراء، وما السابعة في الكرسي إلا كحبة في صحراء ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: 255] وما الكرسي من العرش إلا كحبة في صحراء، وما العرش في كف الرحمن إلا كحبة في صحراء[1] - لا إله إلا الله - أرأيت كم أنت ضئيل ومع هذا تعصي الله عز وجل ومع ذلك يرزقنا، فما الذي يجعل الله يولينا كل هذا الاهتمام.. ملائكة ترحم البشر، وقرآن ينزل من السماء ليعلمهم ويثبتهم والجنة تعد إليهم كي يدخلوها بطاعتهم ويحفظكم من المعاصي ويسترك ويأخذ بيدك وهو الغني عنك.. أنتم فقراء فقر مطلق. انظر حجم المساحة التي تعيش فيها من ملك الله عز

(1) سياق الحديث هنا بالمعنى، والحديث هو أخصر مما ذكر بكثير وقد أخرجه ابن حبان (77/2)، وأبو محمد الأصبهاني في العظمة (570/2)، وأبو نعيم في الحلية (167/1).

وجل والله هو الغني عني مطلق.

يقول الله: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا (27) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا (28) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا (29) وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: 27-30] لا إله إلا الله وسبحان الله.

ومع ذلك وبالرغم من الملك الهائل والمساحات اللانهائية، يقول النبي ﷺ: "أطّت السماء – أي لم تعد قادرة على حمل نفسها – أطّت السماء وحقّ لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله"[1] الكون كله عبد لله عز وجل.. إلا أنت أيها الإنسان وهل يعقل! فليذهب البشر وليعصوا الله لكن ليس أنت بعد أن سمعت هذا الكلام ففي حديث آخر عن جابر رضي الله عنه يقول النبي ﷺ: "ما في السماوات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك!"[2] فما بالكم بمن يعصي ليل نهار!

---

(1) أخرجه الترمذي (2312)، وابن ماجه (4190)، وأحمد (21005) عن أبي ذر رضي الله عنه.

(2) أخرجه الطبراني في الأوسط (3568)، وفي الكبير (1751)، وانظر: مجمع الزوائد (52/1).

النجوم

نظرنا إلى السماء والأرض، فلننظر إلى النجوم، فدرب التبانة – كما ورد سابقاً – يحتوي على مائتي بليون نجم، إذا كنت ماشياً في صحراء ليلاً أو وقفت على سطح منزلك ليلاً ونظرت إلى السماء، سترى النجم، وهو ليس نجماً واحداً بل أنت تظن أنه نجم واحد بل هو عبارة عن ملايين الملايين من النجوم المتقاربة كعدد حبات رمال الصحراء ومن بعدها ظننت أنها نجم واحد وهي في الواقع ملايين الملايين.. فانظر إلى هذا الحجم اللانهائي، وكل مجموعة من نجوم قد مضى عليها مع بعضها آلاف السنين بطريقة ثابتة، لا تتحرك يعرف بها الليل والنهار ويعرف بها الاتجاهات...

يقول الله تبارك وتعالى ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ (75) وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: 75-76] حين تعرفون وتدرسون وتنظرون ستعرفون أنه قسم كبير أن يقسم الله بترتيب مواقع النجوم.. سبحان الخالق العظيم.. سبحان الله... وجد أن بعض النجوم تدور حول أكثر من شمس واحدة فقد تدور بين شمسين وبهذا نفهم قول الله تعالى ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: 17]، وبعض هذه النجوم تدور حول ثلاثة شموس ومن هذا نفهم قول الله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ...﴾ [المعارج:

40] لم يعرفوا لها تفسير في القديم وكيف مشارق وهو مشرق واحد فسبحان الله العظيم.

الدخان

وقد وجدوا في المراصد الحديثة أمراً عجيباً، حيث وجدوا كميات ضخمة من الأتربة والغبار والدخان الذي يملأ السماوات وقد قدّرت بعض المراصد عرضه بمائتي سنة ضوئية – عرضه مائتي سنة ضوئية؟ بيننا وبين هذا الدخان حوالي تسعة آلاف سنة ضوئية، فهذا الدخان يمتد لمسافات شاسعة لا تحصى، ووجدوا أن النجوم تتكون من هذه الأدخنة، نتيجة تفاعلات كيميائية داخل هذه الأدخنة تتكوّن النجوم.. وبهذا تفهم قول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: 11].

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ...﴾ [الأعراف: 54] افهم هذه الآية: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ...﴾ لا تستطيع فعل شيء، فهل تستطيع الشمس أن تتأخر ثانية واحدة عما أمرها به الله عز وجل، كل يوم في نفس الموعد دقة شديدة، ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ...﴾ اسمع الجملة

التالية: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ...﴾ وماذا ﴿وَٱلْأَمْرُ...﴾ يعني أن الذي خلق هو الذي يأمر.. يخلق ويطاع، فهو الخالق أيعبد غيره!.. هو الرازق أيشكر سواه!.. كيف؟.. ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ...﴾.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: 83]...

اتساع الكون

وقد وجد العلماء شيئاً آخراً معجزاً في السماوات، فلقد وجدوا أن الكون ليس ثابتاً، إنما يتسع، فكل يوم تبتعد المجرات عن بعضها والنجوم تبتعد والكون يتسع بمقدار هائل.. وقد قرأت شيئاً مذهلاً، فلقد قدر العلماء أن الكون يكبر مليون ترليون سنة ضوئية كل دقيقة.. هل تتخيّل حجم الاتساع الذي يحدث كل دقيقة... إنه ملك هائل يجعل عقلك يذهل.. واسمع قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: 47].

الغلاف الجوي

الغلاف الجوي الذي يحيط بالكرة الأرضية، ونحن لا نفهم قيمته، ولولا الغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض لهدمت النيازك القادمة من السماء الكرة الأرضية في ثوان، فأي نيزك قادم من

السماء يحطم الكرة الأرضية في لحظات.. وقد سقط أحد النيازك في صحراء أريزونا في الولايات المتحدة. وقد اخترق الغلاف الجوي، فيقال: إن حجم الفوهة النيزكية التي أحدثها كان قطرها اثنا عشر ألف متر، وعمقها ستمائة قدم، ووزنها خمسين ألف طن. فهذا نيزك واحد سقط على الأرض بسرعة فائقة وقوة خارقة.. نارٌ ملتهبة، فما الذي يمنع هذه النيازك من إصابتنا.. إنه الغلاف الجوي، وتسمع قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 32] لا أحد يريد التفكر.. لا أحد يريد النظر.

السماء

فلننزل إلى حدود البصر ولننظر إلى جمال خلق السماء.. أرأيت الألوان!.. أرأيت ألوان الشروق.. فبالله عليكم ألم يكن من الممكن أن تكون هذه السماء من لونين الأبيض والأسود فقط.. انظر كيف جمّلها الله وانظر كيف حلاّها.. انظر إلى الألوان الجميلة في السماء.. انظر كيف اختار لها هذا اللون الذي يجذب النظر.. فلو كان اللون أسوداً لكان قاتماً للنفس، إنما الأصل في النهار أنه لون السماء، ويتغيّر عند الشروق وعند الغروب.. ألوان متفاوتة فلِمَ غيّر الله كل هذه الألوان.. بديع السماوات والأرض.. هو مبدع الخلق.. إذا خلق شيئاً حسّنه وجمّله.. أرأيت صنع الله، فانظر إلى صنع الله وجمال صنع الله..

إخوتي أعطوا أعينكم حظها من العبادة، فهذه العيون قد مضى عليها سنين وهي تعصي الله عز وجل وتتمنّى أن تعبد.. إن عينك تتمنّى أن تعبد الله لكنك لا تعطيها الفرصة لذلك، فاترك عينك تعبد الله قليلاً.. فتأمل في خلق الله وانظر لجمال خلق السماوات والأرض.. يقول الله: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا...﴾ انظر كيف يداعب هذا الكلام عقلك وقلبك.. ألا تتفكرون في هذه المعاني حين تقرأون القرآن.. ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: 6] فهل نظرت يوماً إلى السماء ورأيت فيها شقاً أو ثقباً...

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (1) ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ (2) ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ...﴾ [الملك: 1-3] تفاوت يعني أي نقص أو أيّ أمر سيئ ليس طبيعياً ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ...﴾ انظر ثانية ﴿... فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: 3] أرأيت أي خطأ، أرأيت أي ثقب تصدع في السماوات ﴿... فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (3) ثُمَّ ٱرْجِعِ

ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ...﴾ انظر مرتين أيضاً ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا...﴾ لن تجد أي خطأ في خلق الله عز وجل ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ...﴾ [النمل: 88] ﴿... ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿4﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ...﴾ [الملك: 4-5].

هذا هو خلق الله.. فكلما عشت مع هذه المعاني كلما عبدته بطريقة أفضل، وكلما أحببته أكثر، وكلما تعلّقت به أكثر، وكلما تأنس به أكثر.. وكلما نظرت إلى الخلق وزهدت بهم، فمن هؤلاء الذين تخافونهم.. هؤلاء فقراء وكلنا فقراء.. فهل أخاف وأجزع من مخلوق وهو خالق السماوات والأرض.. انظر كيف تربي العقيدة في قلبك، أرأيت كيف يثمر جمال حلق الله في قلبك حين تفكرت.. وهذا هو التفكر الذي نتكلم عنه.

فإن لم يكن لك حظ من كل ما سبق إلا أن ترى بعينيك المطر وتسمع بأذنك الرعد وترى تعاقب الليل والنهار.. فما الفرق بينك وبين البهيمة.. من كانت هذه علاقته بالسماوات والأرض، فما الفرق بينه وبين البهائم، فالبهائم هذا حظها من الخلق تعرف أن الليل والنهار يتعاقبان، وتنام وتصحو.. فما الذي فضلك عن البهيمة..

بالله عليك.. ارتفع من حضيض البهائم واصعد إلى الملأ الأعلى، وانظر لبديع خلق ربك، واتصل بالله عز وجل، وأحب الله.. صحيح لو تفكّر الناس في عظمة الله ما عصوا الله أبداً..

الأرض

بعد أن تكلمنا عن السماوات وكيف بدأ الخلق وإلى أي شيء تنتهي الأرض، فلندخل إلى الأرض نفسها.. انظر على الأرض ولِمَ اختار الله لنا السكنى في الأرض؟

نحن كوكب من المجموعة الشمسية، وتوجد تسعة كواكب أخرى ولِمَ لم يخلقنا على أي كوكب آخر.. حين تسمع أن الله قد مهّد لنا الأرض، وآيات كثيرة أن الأرض لنا مهداً ومهاداً وبساطاً ومستوية وسهلة، ونعيش عليها بشكل جيد، عند ذلك انظر إلى الكواكب الأخرى لتعرف قيمة الأرض التي نحيا عليها.

الكوكب الأول - على سبيل المثال - كوكب عطارد، هذا الكوكب يدور حول نفسه ببطء شديد جداً، فاليوم فيه طويل جداً، والجهة التي تقابل الشمس في عطارد تصل حرارتها لسبعمائة درجة مئوية، والجهة المقابلة تصل الحرارة فيها إلى مائة وخمسين درجة تحت الصفر.. أتضجرون من أربعين درجة وتتساءلون لِمَ الدرجة حارّة

اليوم؟.. لكن انظر كيف اختار الله تعالى لك الأرض.

انظر إلى الكوكب الثاني: المريخ، وحجم المريخ قريب جداً من حجم الأرض، ووصلت إليه مركبات الفضاء، فلمَ لا نسكنه؟! المريخ يسمى بالكوكب الأحمر.. لماذا؟ لأنه مملوء بالغبار.. وسرعة الرياح فيه مائتي ميل في الساعة، فهو مليء بالعواصف الرملية التي تثير الغبار وبالتالي تجعله برتقالي اللون، وهو كوكب بدون ماء، وتحدث به براكين شديدة، ويصل ارتفاع البركان فيه لتسعين ألف قدم، فتأمل كيف اختار الله لك الأرض، أرأيت الرحمة...

الكوكب الذي يلي المريخ المشتري، وحجمه يساوي مئات أضعاف حجم الأرض، ووزنه يعدل وزن الأرض وكل الكواكب في المجموعة الشمسية، لكن جاذبيته تساوي خمسمائة ضعف جاذبية الأرض ولهذا يحدث داخله غليان شديد، وتقذف البراكين فيه في كل ثانية عشرة أطنان من الكبريت المصهور، فهل تتخيّل القذائف التي تخرج منه لدرجة أن علماء الأرض ظنوا أن هذا هو مكان جهنم وطبعاً لا يوجد دليل على هذا... لكن كلمة جهنم أصبحت ممكنة، العذاب الشديد أن جهنم يركب بعضها على بعض وهذا المعنى ها هو.. فيقال من كثرة الغليان فيه يخرج داخله من خارجه ويقلب بعضه وهو شبيه بوصف جهنم، وحكاية العشرة أطنان من الكبريت

المصهور التي تخرج منه فيها شبه بالوصف الذي ورد في القرآن عن جهنم، قال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات: 32].. أنا لا أقول: إن جهنم هي المشتري.. لكن أريدكم أن تنظروا إلى رحمة الله تبارك وتعالى الذي لم يخلقنا لنعيش فيه.

زحل، كوكب خفيف جداً لا يستقر عليه شيء، ولو وضع على سطح نهر النيل لطفا ولا يمكن العيش عليه.

الكوكبان نيوتن ونبتون، كل واحد منهما شديد البعد عن الشمس والحياة عليهما جليدية رهيبة لا مكان إلا الجليد...

والشاهد.. انظر كيف اختار الله لك الأرض.. انظر كيف مهّدها وفرشها وبسطها، من الذي أجرى فيها العيون والأنهار.. هل ننسى نعم الله أم ماذا؟.. هل ننسى ملك من نحن أم ماذا؟

الله حين يكلمنا في القرآن يخاطبنا بآيات بسيطة المعنى لا تحتاج إلى أمور معقدة لفهمها، ماذا يقول؟ يقول تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: 30] أتعرفون ما معنى غوراً؟ ما بالكم لو أن الأرض تحبس الماء داخلها ولا يطفو الماء على وجه الأرض ويمشي، ما بالكم لو كانت الأرض تمتص الماء؟.. لو أصبح ماؤكمْ غوراً أي غائراً؟.. ما بالكم لو أن ماءكم يغور في الأرض، فمن يأتيكم بماء معين؟!

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿68﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿69﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: 68-70] هل تفكرت في هذه الآية، هل تفكرت بأن الماء من الممكن أن ينزله الله عز وجل من السماء مالحاً؟! ولِمَ لم تفكّر بهذه الطريقة، وماذا لو نزل مالحاً؟؟ كم هي المدة التي نستطيع البقاء فيها.. إن الحياة بعد هذا تنتهي على سطح الأرض، فلا زرع ولا نبات ولا حيوان ولا إنسان! بكل بساطة.. الله قادرٌ على إهلاكنا بلحظة ولكن لماذا لم يهلكنا؟ إنه حليم، صبور، غفور، يعفو ويصفح ويصبر، ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون، سبحانه وتعالى - لا إله إلا هو.

فلننزل قليلاً وننظر إلى الأرض وطبيعتها العجيبة!

إننا ندفن في الأرض القذارات وجثث الموتى وهي تخرج لنا الزرع.. ندفن فيها القبائح وتخرج لنا النضير الحسن.. فالمكان الذي يدفن فيه القبيح هو الذي ينتج الحسن ويتحول هذا القبيح إلى سبب لنضج الثمار... وتضع حبة واحدة فتنتج ثمرات عديدة... انظر كيف بارك الله بهذه الأرض.

فلننظر إلى النبات والثمار، أرأيت تنوعها وآلاف أنواعها.. انظر إلى ألوان الفاكهة، انظر للألوان المختلفة وللطعم المختلف، والغذاء المختلف، وأعجب من هذا أن التربة واحدة والماء نفسه،

فكيف تخرج الثمار مختلفٌ طعمها! يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: 4].

تفكّر قليلاً وعش مع قدرة الله وانظر إلى هذا الزرع ومن الذي أخرج لك هذا الزرع.. ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿63﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿64﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا...﴾

[الواقعة: 63-65].

تخيّل لو أنك في كل أوقات مشيك تتفكّر، فإذا ما مرّت بك نسمة عليلة قلت: سبحان الله، فمن الذي أرسلها وأنا لا أراها، ومن الذي متعني بها وأنا لا أعرف شكلها، إذا حييت مع خلق الله في كل لحظة وكل دقيقة فسوف تجد آلاف المعجزات من الله عز وجل...

دعونا نتفكر في شيء آخر في الأرض..

يقول العلماء شيء غريب جداً، وكيف أبدع الله تبارك وتعالى التوازن العجيب في الأرض.. وماذا يعني التوازن؟ أي أن كل شيء بمقياس محدد، فلو كانت الأرض أكبر قليلاً أو أصغر قليلاً من مقاسها لاستحالت الحياة عليها، فلو صغرت الأرض وأصبحت بحجم القمر لأصبحت جاذبيتها سدس الجاذبية الحالية، وهذا يعني أنه لن يستقر

عليها لا ماء ولا هواء، ولقد شاء الله تعالى أن يكون هذا حجمها تماماً!.. ولو زاد حجمها قليلاً فستصل الجاذبية إلى مائة وخمسين ضعف الجاذبية الحالية، وهذا يعني أن الأحياء التي عليها كلها ستموت لارتفاع الضغط الجوي... تأمل اختيار حجم الأرض بدقة شديدة، فمن الخالق؟.. من الذي فعل ذلك؟ من الذي اختار لنا ذلك..

تأمّل بُعد الشمس عن الأرض، فهي تبعد ثلاث وتسعين مليون سنة، ويقول العلماء: لو أنها اقتربت بمقدار الربع لاحترقت الأرض، ولو ابتعدت بمقدار الربع لتجمّدت الأرض ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: 38].

والقشرة الأرضية لو زاد سمكها عشرة أقدام عن سمكها الحالي لمات البشر كلّهم، لأنها في هذه الحالة سوف تمتص الأوكسجين كله..

ولو اقترب القمر من الأرض قليلاً لأغرقتنا البحار بسبب المد، ولو ابتعد عن الأرض قليلاً لجفّت البحار، فمن المبدع ومن القادر ومن المدبر؟.. أنت عبد من؟ وما علاقتك بالله؟ أتشعر بقربك منه أم لا! أتشعر بفضله عليك أم لا؟ أتعبده أم لا؟.. إلى أي مدى يسترك وإلى أي مدى يتركك وما هي النهاية.. ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67].

والغلاف الجوي، لو كانت طبقته أرق قليلاً مما هو عليه لاخترقته نيازك كثيرة ولاحترقت الأرض في ثوان..

تبلغ نسبة الأوكسجين في الغلاف الجوي واحد وعشرين في المائة، ولو زادت قليلاً لكان أي حادث إشعال صغير ولو لعود ثقاب يشعل الأرض، لكن هذه النسبة هي التي تجعلك تستفيد من النار وتستمتع بها دون أن يحدث إحراق للأرض.. واحد وعشرون في المائة.. من الذي جعلها واحداً وعشرين في المائة؟ من الذي جعلها كذلك؟ من العليم؟ من القدير؟.. يقول الله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: 8]، ويقول الله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: 1-3].

قرأت لأحد العلماء - وهو عالم أجنبي - وهو يقول: لو أتينا بكل الناس الذين في الكون وجئنا بورق وبدأنا نكتب وأخذنا كل العلم الموجود - كل ما أوجد الله من علم - وأردنا كتابته - لن نصل أبداً، ولن تكفي الكتب والدفاتر - فقلت: سبحان الله! علم الله لن ينفذ أبداً والنظر في قدرة الله وعجيب صنع الله لن ينفذ أبداً.. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: 109].·.

يقول النبي ﷺ: "أحبوا الله لما يغدوكم به من النعم"[1].. يستشعر المرء أحياناً الخجل الشديد أمام الله عز وجل، فكل هذه النعم وكل هذا الفضل ونحن بهذا التقاعس ونعصي، ومنا من يقول: أقنعني بأوامر الله.. وهو تعالى يقول: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: 36].

أرأيت ملكه! أرأيت سماواته! أرأيت أرضه! أرأيت رحمته بك! أرأيت قدرته عليك!

وأحب أن أختم بهذه الأبيات الشعرية:

لله في الآفاق آيات لعل   أقلها هو ما إليه هداك
والكون مشحون بأسرار إذا   حاولت تفسيراً لها أعياك
قل للطبيب تخطفته يد الردى   من يا طبيب بطبه أرداك
قل للمريض نجا وعُوفي بعد   ما عجزت فنون الطب من عافاك
قل للصحيح يموت لا من علة   من يا صحيح بالمنايا دهاك
قل للبصير وكان يحذر حفرة   فهوى بها من الذي أهواك

(1) أخرجه الطبراني في الكبير (2639، 10664) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

بل سائل الأعمى خطى بين ازدحام   بلا اصطدام من يقود خطاك
قل للجنين يعيش معزولاً بلا   ماء ولا مرعى من ذا الذي يرعاك
قل للوليد بكى وأجهش بالبكاء   لدى الولادة من الذي أبكاك
وإذا ترى الثعبان ينفث سمه   فاسأله من ذا بالسموم حشاك
واسأله كيف تعيش يا ثعبان   أو تحيا وهذا السم يملأ فاك
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت   شهداً وقل للشهد من حلاك
بل سائل اللبن المصفّى كان   دم وفرث من الذي صفاك
وإذا رأيت الحي يخرج من حنايا   ميت فاسأله يا حي من أحياك
قل للنبات يجف بعد تعهد   ورعاية من بالجفاف رماك
وإذا رأيت النبت يربو في   الصحراء وحده فاسأله من أرباك
وإذا رأيت البدر يسري   ناشراً أنواره فاسأله من أسراك
واسأل شعاع الشمس يدنو   وهي أبعد كل شيء من الذي أدناك
قل للمرير من الثمار من   الذي بالمر دون الثمار حشاك

وإذا رأيت النخل مشقوق النوى   فاسأله من يا نخل شق نواك
وإذا رأيت النار شب لهيبها   فاسأل لهيب النار من أوراك
وإذا ترى الجبل الأشم مناطحاً   قمم السحاب فسله من أرساك
وإذا ترى صخراً تفجر بالمياه   فسله من بالماء شق صفاك
وإذا رأيت النهر بالعذب الزلال   سرى فسله من الذي أجراك
وإذا رأيت البحر بالملح الأجاج   فسله من الذي أطغاك
وإذا رأيت الليل يغشى داجياً   فاسأله من يا ليل حاك دجاك
وإذا رأيت الصبح أسفر ضاحياً   فاسأله من يا صبح صاغ ضحاك
سيجيب ما في الكون من آياته   عجب عجابٌ لو ترى عيناك..
ربي لك الحمد العظيم لذاتك   حمداً لك وليس لواحد إلاّك
يا مدرك الأبصار والأبصار   لا تدري له ولكنهه إدراك
إن لم تكن عيني تراك فإنني   في كل شيء أستبين علاك
يا أيها الإنسان مهلاً   ما الذي بالله جل جلاله أغراك

الباب الثاني

التفكُّر في خلق الإنسان

لقد أمرنا الله تعالى بالتفكُّر في آياتٍ كثيرة وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28] فينبغي أن تعلم أنك بقدر ما تعرف معلومات عن دينك وعن خلق الله عز وجل وعن قدرة الله، كلما ازدادت خشيتك لله عز وجل... ونحن إذ نذكر هذه المعلومات لا نقولها لقراءتها فقط، ونحن نقول قليل المعلومات التي نستطيع من خلالها أن نوصل لك رسالة.. "انظر إلى قدرة الله عز وجل.." وكان هدفنا مما سبق فهم معنى ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الزمر: 67]، ولمعرفة قدر الله نظرنا في السماوات والأرض وعلمنا أن الطريقة المثلى لمعرفة قدر الله عز وجل هي التفكُّر في خلقه... وتحدثنا عن كون هذه العبادة الجليلة مهجورة بين الناس.. ونحن بحاجة لهذه العبادة – عبادة التفكُّر في خلق الله.

فيما سبق تحدثنا عن خلق السماوات والأرض، وبديع خلق الله وقدرة الله في إنشاء السماوات والأرض، وسنتحدث في ما يلي

عن خلق الإنسان.. كيف خُلِقت أيها الإنسان؟ إن التفكُّر في هذا المعنى مهم جداً ومطلوبٌ جداً..

خلق آدم عليه السلام:

إن أول ما سنبدأ به تفكُّرنا أننا سنتفكر بخلق آدم عليه السلام، وقبل أن نتحدث عن كيفية خلقك أنت فلنتأمل كيفية خلق أبيك الأول آدم عليه السلام.

نجد آيات كثيرة في القرآن تتحدث عن خلق سيدنا آدم، فمرة تجد آية تقول أنه خلق من تراب، وأخرى أنه خلق من طين، وأخرى تتحدث أنه خلق من طين لازب، وأخرى تقول بأنه خلق من صلصال كالفخار.. فمن ماذا خلق آدم؟

لقد خلقِ من كل هذا... كيف؟ هذا تدرج مراحل خلق آدم، تتحدث هذه الآيات كيف تدرج خلق آدم عليه السلام...

فلنرَ مما خلق أبونا آدم..

أول ما كان من خلق آدم التراب ويشير إلى هذا حديث النبي ﷺ: "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض"[1]...

(1) أخرجه أبو داود (4693)، والترمذي (2955)، وأحمد (19085) عن أبي موسى رضي الله عنه.

أي جاءت صفات البشر متنوعة بتنوع صفات الأرض، "فجاء بنو آدم على قدر الأرض"، فجاء منهم الشخصية السهلة كالأرض الخصبة، وجاء منهم الشخصية الصعبة الشديدة كالأرض التي لا تنبت زرعاً ولا تأخذ ماءً، وجاء منهم الشخصية الصخرية العنيدة، فتنوعت صفات البشر بتنوع صفات الأرض التي قبض من جميعها آدم، وجاء منهم الأبيض والأسود والأحمر على اختلاف درجات ألوان الأرض، فجاءت طبائع بني البشر ممثلة لعينة من صفات الأرض لقبضة قبضها الله تبارك وتعالى من جميع الأرض.. ولذلك سمي آدم بآدم لأنه من أديم الأرض، وأديم تعني تراب، وسمي آدم، حتى يذكرك الله حين يناديك يا بني آدم أن عليك التواضع والتذلل لعظمة الخالق، لأنك تعرف ماذا يعني آدم وتعرف مما خلق آدم..

وكان أول خلق آدم عليه السلام من تراب – انظر لبدايتك – ثم بُلَّ التراب – كان من الممكن أن يخلق الله آدم بطريقة كن فيكون، ولكن لماذا لم يحصل هذا؟ لو كان كن فكان آدم لما تدرجت وعرفت ضعفك وعرفت كم أنك مخلوق ضعيف وأنك لست سوى قليل من تراب.

وحين بُلَّ التراب أصبح طيناً.. انظر تدرج الخلق.. يقول الله تعالى ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ﴾ [ص: 71] ثم

بُلَّ الطين، وحين بُلَّ الطين أصبح طيناً لازباً - أي متماسكاً - وكلما زاد الماء على الطين كلما تماسك أكثر فأكثر.. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: 11] أي طين متماسك متجمع، وهذا الطين اللازب شكَّله الله عز وجل بيده الكريمتين، فأخذ صورة الإنسان، من الذي شكَّله؟.. الله عز وجل.. ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ...﴾ [ص: 75] كنت تراباً وبُلَّ التراب فأصبح طيناً، وبُلَّ الطين وتجمَّع وأصبح طيناً لازباً، وتشكل الطين اللازب بيد الله سبحانه وتعالى حتى صار كالصلصال، وهذا الصلصال حين شُكِّل ومن كثرة البلل اسود فأصبح صلصالاً من حمأ مسنون - أسود قاتم - ثم ترك الصلصال الذي من حمأ مسنون حتى جف فصار صلصالاً كالفخار...

هذه مراحل خلق أبينا آدم تراب، ثم بُلَّ وأصبح طيناً، ثم تجمَّع فأصبح طيناً لازباً، ثم تشكَّل فأصبح صلصالاً، وترك الصلصال حتى أصبح صلصالاً من حمأ مسنون، ثم ترك حتى جف وأصبح صلصالاً كالفخار، وجعل الله تبارك وتعالى فيه فتحة في الفم.. فصار كالفخار.. وحتى هذا الوقت لم ينفخ فيه الروح، وجاء في الأثر أنه ترك أربعين.. قطعة فخار متشكِّلة على هيئة تمثال...

حين تعلم هذا وتتفكر فيه تعرف كم أنت بسيط، كم أنت

ضعيف، وكم هو عظيم سبحانه وتعالى وكم هو قادر.. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: 29].. فنفخ في هذا الصلصال نفخة واحدة فتحول الصلصال إلى إنسان يسمع ويعقل ويرى ويفهم، له رأس وأمعاء وكبد وأيدٍ تتحرك، كل هذا كان بماذا؟ بنفخة من الله عز وجل... ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾.. فمنذ قليل كان فخاراً والآن تحول إلى إنسان يسمع ويرى، وأسجد الله تبارك وتعالى له الملائكة...

إخواني ماذا نستفيد من هذه القصة... نستفيد أننا ضعفاء.. وأن هذه قصة نشأتك... كم الآيات التي تتحدث عن خلق الإنسان وقدرة الله تبارك وتعالى، تجعلك تتفكر وينبغي أن تتفكر، انظر ماذا تقول الآية: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...﴾ [فصلت: 53].

فهذا الكلام يهدف لجعلك تتفكَّر كيف خلق آدم، وكيف وقد كان عبارة عن تمثال من فخار بنفخة من الله عز وجل كان آدم، فتتعلم أن تخشع لله عز وجل.. فاعرف من أنت وما هو أصلك.

هنا أشير إلى أمر، إن الإنسان مكون من أمرين: من تراب ومن نفخة علوية من الله عز وجل، وكأن هناك أمرين ينبغي أن

تعلمهم جيداً.. أن أصلك من تراب، فإن اتصلت بالله عز وجل فلقد كرِّمت وقد علت فيك هذه النفخة.. ولهذا تجد أن علماء الغرب متحيرون بين نوعين من الناس، نوع يقول: إن الإنسان حيوان ونيئ ويكرهه ويتقزز من الجنس البشري، والبعض الآخر يتفاخر بالجنس البشري، أما الإسلام فيقول: إن أصل البشر من تراب، أصلك نطفة مهينة، لكن نفخ فيك الله عز وجل وسوَّاك الله بيده، فأنت فيك الضعف وفيك التكريم، فلا يمكن القول بأن الإنسان حيوان قذر، بل هو مكرم بنفخة الله عز وجل، والله خلق أبانا بيده وأسجد له ملائكته، هذا جزء، أما الجزء الآخر هو أن الإنسان ضعيف فهو من تراب بُلَّ وأصبح طيناً، وتشكل وأصبح صلصالاً، والصلصال ترك حتى جف فأصبح كالفخار، ولولا نفخة الله لكان تمثالاً لا قيمة له.

أنت كيف خلقك الله...

يقول الله عز وجل: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: 1].. انظر هذا السؤال القرآني، فهل أتى عليك يوم يا ابن آدم لم تكن شيئاً؟ السؤال سهل وإجابته معروفة، نعم أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، ولكن لِمَ يسألنا الله هذا السؤال؟ إنه يسألنا حتى نفكّر، أرأيتم قيمة التفكُّر... وقيمة هذه العبادة.. تفكّر أنتَ هل أتى عليك يوم لم تكن

شيئاً ولا حتى ذرة.. نعم! وهل أتى على أبيك سنين لم يكن موجوداً.. نعم!! وهل أتى على جدك ملايين السنين لم يكن موجوداً، فمن أنتَ حتى تتكبّر على الله عز وجل.. ومن أنتِ حتى ترفضي ارتداء الحجاب.. ومن أنتَ حتى ترفض الصلاة في المسجد... وهل نسيت أنه أتى عليك يوم وأيام لم يكن لك قيمة في الوجود؟ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ...﴾ تأمل كلمة حينٌ ليس يوم أو يومين... ﴿... حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ...﴾ لم يقل: من الأيام وإنما من الدهر... يا من أتى عليك حينٌ من الدهر لم يكن لك أدنى نصيب من الوجود، من الذي أوجدك؟ من الذي جعلك في هذا الكون؟ أيطاع من أوجدك أم يعصى؟

بدايتك نطفة... تأمل وجهك وجسمك؟ انظر إلى قوتك وإلى سمعك... إلى نظرك وتفكيرك.. أنت يا من تتمتع بكل هذا، ما هو أصلك؟ إن أصلك نطفة ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: 77].. فبعد أن كنت نطفة تُخاصم الإله عز وجل.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿78﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: 78-79].

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿17﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿18﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس: 17-19].

قدَّر فيك كل شيء في أجهزتك، وكل شيء في تكوينك، ولنبدأ من بداية النطفة... وأنا حين أتكلم أريد منك أن تتخيل ضعفك... اسمع ما يقوله العلماء.. وسنتكلم في العلم قليلاً لمزيد من خشية الله، ومزيد من رؤية عظمة الله عز وجل.

يقول العلماء: إن النطفة الواحدة تحتوي في السنتيمتر المكعب ما بين ثمانين إلى مائة مليون حيوان منوي، تخيَّل أن أصلك من بين هذه الثمانين إلى مائة مليون حيوان منوي... وعدد كمية النطف التي يقذفها الرجل تصل حوالي ثلاثة إلى خمسة سنتيمترات مكعبة، وهذا يعني أن عدد الحيوانات المنوية تصل في الرجل إلى حوالي خمسمائة مليون حيوان منوي، وحين تقذف من الرجل فإنها تتحرك باتجاه الرحم.. من دلَّها.. أمر غريب جداً.. من دل الحيوان المنوي على طريقه في ظلمات بطن الأم والمرأة، فهو يعرف أين يذهب، يتجه نحو الرحم خمسمائة مليون حيوان منوي، يموت أغلب الحيوانات المنوية ولا يقوى على الوصول إلى رحم المرأة إلا خمسمائة فقط من الخمسمائة مليون، وعندها يبدأ الخمسمائة المحاولة لاختراق البويضة التي تكون مغلفة بغشاء غليظ يمنع وصول أي شيء إليها،

ويبدأ الخمسمائة حيوان المحاولة، فكل واحد منهم يفرز مادة سائلة تذيب هذا الغشاء – من الذي يضع هذا – وتبدأ البويضة أيضاً بفرز مادة سائلة تذيب الغشاء حتى يستطيع حيوان منوي واحد فقط اختراق البويضة.. وهذا الحيوان هو من خمسمائة حيوان والتي هي من أصل خمسمائة مليون. من الصانع؟ وهل يعقل أن يخضع هذا الكم لقانون الصدفة؟ تذكر ما كان أصلك.. يقول الله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿49﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: 49-50] يخلق الحيوان المنوي ويهديه إلى طريقه حتى يدخل البويضة.. ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿45﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ﴾ [النجم: 45-46] نطفة من مني يخرج منها الذكر والأنثى...

هل تفكرت يوماً في هذا وتذكرت في أصلك.. ما هو أصلك! يا من أصلك نطفة.

يقول العلماء: إن الحيوان المنوي بعد دخوله إلى داخل البويضة يذوب ويختلط مع البويضة ويتحد جسمه مع جسمها ليكون نطفة مختلطة من الاثنين – ماء الرجل وماء المرأة – وتسمع قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ...﴾ أمشاج تعني مختلطة، ومن علم النبي ﷺ بما يحدث بين الحيوان المنوي والبويضة.

﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا

بَصِيرًا﴾ [الإنسان: 2] نطفة سوف تسمع وترى من يصدق هذا؟ لو أن معجزة خلق البشر لا تحصل كل يوم في المستشفيات والبيوت، وجاء أحدهم وأخبرك بهذا هل تصدقه.. لو أحدهم قال لك هكذا يخلق الإنسان ولكنك لا تعلم، لقلت إنه كلام غريب.. هكذا كانت بدايتك...

بمجرد دخول الحيوان المنوي إلى البويضة ينصهر، ويقول النبي ﷺ: "ما من كل الماء يكون الولد"[1] فلقد كان العرب يظنون أن من كل هذه النطفة يأتي الرجل... فالنبي ﷺ يخبر بأنه يبقى من الخمسمائة مليون خمسمائة فقط ومن الخمسمائة يبقى حيوان منوي واحد فقط، فهو يعلمنا هذا ويقول: "ما من كل الماء يكون الولد" وهذا الحديث رواه مسلم... ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 3-4].

أريدك أن تعرف هذا الكلام ليس من باب العلم، بل من باب تعظيم الله تبارك وتعالى.

الآن وبعد أن اختلط الحيوان المنوي بالبويضة داخل الرحم، فما هو الرحم؟

(1) أخرجه مسلم (1438)، وأحمد (11369) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

انظر كيف يحفظ الله الرحم، فالرحم هو الموضع الذي اختاره الله تبارك وتعالى حتى تخلق فيه، وهذا المكان محاط بعظام الحوض عند المرأة، فعظام الحوض تحيط الرحم وهي تحيط به من كل مكان ليست عظام الحوض فحسب بل عضلات تشد الحوض من كل الجوانب، عضلات وأربطة تشد الرحم من كل جانب لكي تحفظه حفظاً متيناً، وبفضل هذه الأربطة والعضلات يحفظ الحوض الرحم، لدرجة أن الأطباء يقولون لو أن أحداً أراد أن يقتل امرأة ومزقها بسكين فلا يستطيع أن يصل إلى الرحم، ولو سقطت المرأة من شاهق وتكسرت العظام لبقي الرحم محفوظاً، واسمع قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: 12-13] القرار المكين هو الرحم.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ (20) فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ (21) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (22) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: 20-22].

يا من كنت نطفة، يا من حفظت في قرار مكين أتتجبَّر على مولاك؟! من الذي حفظك؟!.. أيتها الأم بإمكانياتك أم بقدرتك حفظت هذا المولود، فقد تكونين لا تعرفين شيئاً من هذا الكلام، فهناك نساء وَلَدْنَ ست مرات وسبع مرات وهن لا يعرفن شيئاً إلا

أنهن يلدن، لكن من هو الحافظ ومن الذي ربى هذا الجنين في بطنك، من الذي حفظه في قرار مكين؟!

أنت الآن ما زلت نطفة داخل الرحم لكنك محاط بثلاثة أشياء، محاط بغشاء داخل الرحم كالكيس - المشيمة - داخل الرحم، ثم محاط بالرحم ثم محاط ببطن الأم.. انظر كيف يحفظك سبحانه وتعالى... يقول الله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ [الزمر: 6].

انظر القوة الآن بعد أن قرأت هذا الكلام وتخيَّل أن هناك امرأة يوجد داخلها نطفة، وهذه النطفة محمية في ظلمات ثلاث، وبعد عشر أو عشرين سنة سوف تأتي المسجد وتسمع مثل هذا الكلام وأنت كنت كذلك قبل عشر أو عشرين سنة. ما أضعفك! كيف تجبرت على مولاك؟ كيف قلت لربك لا؟ وكيف تجرؤ بعد هذا على القول أقنعوني فلن أطيع الله إلا بأن أقتنع أولاً، ماذا كنت أنت؟ أنت كنت نطفة.

وكيف يأتي بعد ذلك شاب ويقول: أنا لا أستطيع أن أترك الذنب الفلاني، أنا آسف جداً، أنا مقتنع ولكني لا أستطيع تركه... من أنت لتقول لله عز وجل لا، انظر لحجمك، انظر لبدايتك، انظر

لنشأتك، اعرف قدر مولاك تبارك وتعالى. ينبغي حين تقرأ هذا الكلام أن يُشْحَن قلبك بجلال الله عز وجل، وتشعر بجلال الله بشكل أفضل مما لو استمعت إلى عشرين درس في الأخلاق وفي العبادات، ويكون هذا الكلام هو الذي يعينك على الأخلاق والعبادات بعد أن عرفت قدر الله عز وجل، ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (6) إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ...﴾ [الزمر: 6] أتشكر أم تكفر بعد أن خلقك في ظلمات ثلاث.

فلنتأمل كيف تتطورت في بطن أمك، تتحول النطفة البيضاء إلى تجمع دموي أحمر يسمى علقة، لماذا يسمى علقة، لأنه يتعلق بجدار الرحم، الطب الحديث ذكر هذا، ولكن كانت الصدمة أننا معشر المسلمين نعرف هذا من أربعة عشر قرناً، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: 1-2] وانظر إلى دقة كلمة علقة، فمن علَّم الرسول ﷺ أن هذا التجمع الدموي يتعلَّق بجدار الرحم فسمي علقة...

أنت الآن علقة، ما هو غذاؤك وما هو أكلك.. دم! دم وارد من الأوعية الدموية للرحم.

وكم يبلغ طول العلقة؟ يبلغ طولها بين 2.5 إلى 4 ملم.. لقد

كنت 2 ملم ولا تريد أن تسمع كلام الله... إن المرء ليخجل حين يتذكر ذنوبه، فبعد أن كان حجمه لا يتجاوز 2 إلى 4 ملم بعد مضي خمس وعشرين يوماً في رحم الأم.

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [العلق: 1-3].

تتحول العلقة إلى مضغة، وسبب تسميتها بالمضغة لأن شكلها حين ينظر إليها بالمنظار يكون كقطعة لحمة ممضوغة، وكأنها لبانة - علكة - وقد مُضغت بالأسنان.. ولقد كنت أنت كذلك، وانظر لدقة التعبير القرآني حين يقول لك مضغة، سبحان الله..

ولماذا مضغة! لأن قطعة اللحمة قد بدأت تتفصل فممضوغة لأنه يوجد قطعة في الأعلى لمكان الرأس، وممضوغة لأن هذا المكان سيكون فيه عظم، وممضوغة لأن هذا المكان ستخرج منه يد، تخيَّل! سبحان الله!

لقد كنت هكذا والآن تقول: لا!! ولا أريد أن أغض بصري ولا أريد ارتداء الحجاب!

يقول الله تعالى: ﴿... أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ...﴾ [الأعراف: 54] فالذي خلق هو الذي يأمر.

أيتها المضغة، كم يبلغ طولك بعد هذه المدة، لا يزيد طولك عن ثمانية ملم، وحين تكبر المضغة قليلاً تصبح ستة عشر ملم، ويبدأ التقسيم يزيد قليلاً، وتتضح التقسيمات لكنها لا تكون واضحة المعالم.. سبحان الله...

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ...﴾ [الأعراف: 11].

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 6-8].

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [القيامة: 38] وهناك أطباء أسلموا بسبب هذه الآية، لأن الله تعالى يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ﴾ أهو حين كان علقة كان مخلوقاً أم أن الخلق ابتدأ بعد العلقة، إن نشاط تكوين الإنسان يبدأ بالمضغة بعد العلقة، ولاحظ دقة الآية القرآنية ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ﴾ لما كان مضغة بدأت تظهر معالم خلقه وتسويته. يقول العلماء: إنه ومع نهاية الأسبوع السادس يصل حجم المضغة لستة عشر مليمتراً، وبعد الأسبوع السادس يبدأ الهيكل العظمي بالتكون، ويبدأ تكونه مقوساً على هيئة هلال، وبعد هذا ينعدل الهلال شيئاً فشيئاً ﴿... مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ فلقد كنت مقوساً

ولا تستطيع أن تستقيم، وكان شكلك سيصبح مشابهاً للحيوانات فمن الذي عدلك وأنت في بطن أمك؟ إنه الله عز وجل.

ومع بداية الأسبوع الثامن تبدأ العضلات بالظهور، ويبدأ الهيكل العظمي والعظام الصغيرة تنكسي بلحم خفيف رقيق، يقول الله تعالى: ﴿... فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا...﴾ [المؤمنون: 14] فمن الذي كسا العظام لحماً؟ وبعد ذلك تتشكل المضغة في صورة بشر، أتذكرون كيف خلق آدم "ثم خلقه الله بيديه" وكأن التدرج نفسه يتكرر هنا. أنت كأبيك، يحصل على المضغة تشكيل وتتحول لصورة بشر، يقول الله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: 14]، فبعد أن كان مضغة منبوذة، تبدأ هذه المضغة تتشكل إنساناً داخل الرحم، ويبدأ نمو القلب بالاكتمال، وتبدأ أجهزة الجسم تمارس وظائفها.

ومع بداية الأسبوع الحادي عشر تبدأ براعم الأسنان بالظهور شيئاً فشيئاً، تأمل ضعفك أيها الإنسان! تخيَّل نفسك حين كنت هكذا وحرِّك أطرافك واسأل نفسك من الذي جعلها تتحرك هكذا؟، من الذي جعلك ترى، أنت صنعة من؟ وأنت ملك من؟ إخوتي إن هذه الحقيقة تُنسى ولهذا نحن نبتعد عن ربنا ولا بد أن تتذكر دائماً أنك عبد، أنك ملك الله وصنع الله عز وجل، أنك فقير

إلى الله، وأنك من دون الله لا تساوي شيئاً.

ومع بداية الأسبوع الثاني عشر يبدأ حجم المخ بالازدياد ويكبر حتى يصبح حجم الرأس مساوياً لنصف الجسم، ويحدث شيء غريب في بداية الأسبوع الثامن عشر، يظهر في الرأس تجويفات، حفر في الرأس، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الحج: 5] أربعين أسبوعاً وبعد الأربعين يصبح الرحم عبد من عباد الله ويقذف الولد.

ثم انظر إلى شيء أعجب من ذلك، فمن الذي علَّم الجنين في نهاية أو بداية الأسبوع الثلاثين أن يقلب نفسه داخل الرحم ويجعل دماغه مقابل لفتحة الرحم سبحان الله.. دماغه إلى الأسفل، وحين تنظر إلى هذه الصورة – صورة الجنين – فإنك تتعجَّب. والجنين قبل الولادة مباشرة يقوم بضم رجليه الاثنين باتجاه بطنه، ويضع يديه ويدخل دماغه إلى صدره ليسهل إخراجه – سبحانه وتعالى –.

يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: 3] من الذي هدى الجنين الذي لا يعي شيئاً أن يتخذ هذا الشكل الغريب، فأنت حين تنظر إلى هذه الصورة في أي كتاب علمي تعجب! الجنين يقلب نفسه ويجعل رأسه مقابلاً لفتحة الرحم ويضم رجليه إلى بعضها وبدل أن يكون رأسه مرفوعاً يقوم بإنزاله إلى صدره، يقول الله تبارك

وتعالى ﴿... صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ...﴾ [النمل: 88].

والأعجب من هذا أن الجنين في الشهرين الأخيرين يبدأ بوضع إصبعه داخل فمه ويقوم بمصه استعداداً للرضاعة حين يخرج من بطن أمه، فمن الذي علمه ذلك، ومن هو الرحيم الذي يرحمنا كل هذه الرحمة...

ثم تجد شيئاً أعجب أن الجنين بعد أن يشق سمعه وبصره يبقى مغلق العينين، لأنه لو فتح عينيه لتلفت الشبكية بفعل الدماء والأغشية الموجودة والأنزيمات الموجودة في رحم الأم، فمن الذي علمه بعدما شق سمعه أن يُبْقي عينيه مغلقتين لأنه لو قام بفتحها فستعميان! فيا سبحان المدبر ويا سبحان الخالق.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ...﴾ [الروم: 40].

فيا عجباً كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده جاحد
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد

ولنتذكر من الأول، نطفة وخرج منها عينين وأذنين ولسان يتكلم وأعصاب وعروق وعضلات ودورة دموية ومخ وكبد وطحال

وقلب وسمع وكلام وقدرة على الحركة وتفكير... من الذي أمر العين بالبصر، والأذن بالسماع، ومن الذي قال لقلبك استشعر، ومن الذي أمر عقلك بالتفكير؟...

فكيف تترك عينك – والله تعالى هو الذي شقّها –، تنظر إلى حرام! أما تستحي أن تقف بين يدي الله ويقول لك: ألم أشق سمعك وبصرك أكنت تسمع بأذنيك الحرام وتطرب له... الشباب والبنات الذين يدخلون عبر الإنترنت، ويشاهدون القنوات الفضائية ويشاهدون المناظر الخليعة.. بالله عليكم من الذي رزقكم هذه العين.. والشاب والفتاة الذين يكلمون بعضهم البعض عبر الهاتف ويقولون كلام يندى له الجبين ويغضب الله تبارك وتعالى، فبالله عليكم من الذي مَنَّ عليكم بهذا النطق وبهذا اللسان، والفتاة التي ترفض طاعة الله وتعصي والديها ليل نهار، من أعطى قلبك هذه العاطفة التي جعلته يحب ويوم يشعر بالحب يقوم بمحبة البشر وينسى خالق البشر، فهذا قلبك الذي أعطاه الله القدرة على العاطفة يعشق واحدة لا تحل له وينسى الله عز وجل، ودماغك الذي رزقك الله إياه للتفكير، حين يبدأ بالتفكير فأول قرار يتخذه يطلب من ربه أن يقنعه بأوامره!!..

أرأيتم كيف بعدنا عن الله تبارك وتعالى بعدما خلقنا، ونحن

أصلنا نطفة ضعيفة.. نطفة لو تعرضت لقليل من الهواء لفسدت وماتت، أليس كذلك! وهذه النطفة حُفِظَت حتى كنت أنت.. ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14].

بعد أن خلق الإنسان، فلنتأمل الآن أمور أخرى، فلنتأمل الدورة الدموية وكيف تتنفس وكيف تهضم وكيف تفكر وكيف ترى، وسنبدأ الآن بجولة سريعة جداً وأخبرك عن أمور قد لا تكون تعرفها؟ ولكن لتعلم قدرة الله تبارك وتعالى عليك، وسأضرب أمثلة بسيطة جداً...

هل تعلم أن خلايا جسمك كلها لو لم تتجدد باستمرار ستصاب بشيخوخة مبكرة وتختفي حيويتك ويصيبك العجز وتموت على الفور من حين ولادتك، وأنه ينبغي حتى تبقى تعيش في حيوية ونشاط أن يحصل تجديد دائم للخلايا. فيموت في جسم الإنسان في كل دقيقة مائتي مليون خلية، ويحل محلهم مائتي مليون خلية جديدة حتى تبقى شاباً أو حتى تبقى حياً، أيها الشاب يا من تتمتع بالقوة حتى قوتك هذه فإن المائتي مليون خلية هي التي تجددك باستمرار.. لدرجة أن خلايا البشرة وحتى يبقى وجهك بالجمال والنضارة والحيوية فإن خلايا الوجه تتغير كل أربع ساعات... من الذي علم هذه الخلايا أن تتغير؟ وخلايا التذوق باللسان، فلكي تستطيع التذوق

باستمرار فإنها تتغير كل سبعة أيام من جديد، والغشاء المبطن للمعدة حتى تستطيع الهضم ينبغي أن يتغير هذا الغشاء كل فترة، فتخيَّل ما الذي سيحدث لك بدون الله عز وجل، وهل تتخيلون أننا بدون عناية الله ورحمته كم سيكون وضعنا صعباً... إخوتي هل تتخيلون من دون الله كم سيكون وضعنا صعباً وما هي قيمة البشر بدون رحمة الله ولطفه.

إن قطعة اللحم الواحدة التي نأكلها تحتاج دون الوسائل التي أعطانا الله إيَّاها للهضم فإنها تحتاج إلى خمسين سنة حتى تهضم لو أنها تنزل إلى المعدة من دون هذه الأنزيمات والخمائر، فإنها تنزل – أي قطعة اللحم – المعدة ولكي تتحلل تبقى خمسين سنة، تخيَّل كم قطعة لحمة أنت تأكل كل يوم.. دون أن تأكل معها شيئاً.. وإن الإنسان قد لا يذكر اسم الله قبل الأكل، وقد لا يحمد الله الذي أطعمه وسقاه.. لا يقولها.. ومع ذلك اللقمة لا ترفض أن تهضم لأنها عابدة لله عز وجل، والإنسان يرفض العبودية لكن النعمة لا ترفض العبودية.

إذا وضعت قطعة اللحم داخل فمك، انظر إلى التركيب العجيب، فأول الأمر الأسنان، ألا تلاحظ أن هذه الأسنان هي العظم الوحيد الغير مغطى، لماذا؟ لأن لها دوراً، فإنها تمضغ، وحتى تستطيع

المضغ ينبغي أن يكون في الفك عضلات بمنتهى القوة، وبعد المضغ يبدأ اللسان عبر غدد الفم بفرز مادة تساعد على الهضم.. وبعد هذا يفرز اللسان اللعاب لماذا؟ حتى يتم حفظ اللحم ثم يدخل إلى الحنجرة، وعندما تدخل إلى الحنجرة تخرج اللهاة، واللهاة هذه هي التي تحدد طريق الأكل فإما أن يدخل إلى القصبة الهوائية ويؤدي إلى الاختناق أو يدخل إلى المريء...

تخيَّل أن اللهاة تعبد الله عبودية عجيبة فأول ما يقذف اللسان اللقمة إلى الداخل، فتقفل اللهاة القصبة الهوائية.. من علمها هذا؟!

وأحياناً تخطئ اللهاة، حتى يذكرك الله بقيمة اللهاة، وحتى حين تشرب تقول: الحمد لله حتى تعرف ضعفك، حتى تعلم أن الأمر ليس بيدك، وكيف بعد هذا تعصي؟ فالله قادر أن يفتح هذه اللهاة على القصبة الهوائية فتموت بلحظة واحدة، موتك لا يستغرق لحظة أيها الضعيف، لحظة وأنت تعصي، ولكن من رحمة الله أنك تعصي ليل نهار ولم يفتح اللهاة مرة واحدة على القصبة الهوائية، لأنه عبد لله، ولعله يتبرأ منك في كل معصية، ويقول: يا رب دعني أهلكه وسيأتي يوم القيامة يشهد من ضمن الشهود، ويقول: يا رب طالما أنعمت عليه بآلاف النعم واللقم تدخل إلي ولم أهلكه يا رب بأمرك.

إخوتي انظروا لضعفكم، وانظروا نحن نعصي من، انظروا

حجمنا وضعفنا ومدى احتياجنا لله عز وجل... حين تصل اللقمة إلى اللهاة يؤمر بإقفال القصبة الهوائية وفتح المريء... وتدخل اللقمة إلى المريء، فيقوم المريء بفرز الأنزيمات التي تقوم بهضم الأكل قليلاً، ويبدأ بالتحرك حركة دودية حتى تنزل اللقمة حتى تصل إلى المعدة، وحين تصل إلى المعدة تبدأ المعدة بفرز أنزيمات الهضم... من الذي يفعل كل هذا! من الذي يؤدي كل هذا؟ من الخالق؟.. وهذه الأنزيمات تهضم اللحم فهي متخصصة لهضم اللحم..

وهنا سؤال.. مِمَّ تتكون المعدة؟.. من اللحم! فكيف تهضم الأنزيمات اللحم القادم من خارج المعدة ولا تأكل لحم المعدة.. لأن الله تعالى قد غلَّف المعدة بغشاء مخاطي يمنع الأنزيمات من هضم المعدة.. انظر الآن إلى ضعفك... وتأمل حين تأكل قطعة لحمة وتعترف بأنه لا قيمة لك من دون الله، فحتى اللقمة الصغيرة لا تستطيع أكلها.

كان لهارون الرشيد واعظ اسمه ابن السماك، فقال هارون الرشيد... الذي ظلمه التاريخ وقال عنه بأنه مترف وكثير اللهو والعبث مع النساء والجواري و.. و.. و... هذا الرجل ظُلِمْ، فقد كان يحج عاماً ويجاهد عاماً، لكنه ظُلِمَ حتى يُشَوَّه تاريخنا ويقول الشباب نحن لا نريد تاريخ الإسلام. ذلك الرجل كان يصلي كل ليلة

مائة ركعة.. تخيَّلوا لا أحد يفعلها اليوم.

قال هارون يوماً لواعظه: عظني يا ابن السماك.

فقال له: يا أمير المؤمنين أرأيت لو منعت عنك شربة الماء هذه كم تدفع من ملكك لتنالها؟

فتفكَّر هارون الرشيد وقال: "أدفع نصف ملكي لأشرب".

فقال له: يا أمير المؤمنين أفرأيت إن شربت فحُبِسَت بداخلك ولم تخرج فكم تدفع من ملكك لتخرج؟

فقال: "أدفع نصف ملكي الآخر".

فقال: يا أمير المؤمنين إن ملكاً لا يساوي شربة ماء لملك هيِّن لا يساوي شيئاً. ما هذا الملك الذي لا يساوي كوب ماء.

يقول الحسن البصري: "مسكين ابن آدم محتوم الأجل، مكتوم الأمل، تؤذيه البقة، وتقتله الشهقة".

كيف بعد أن تقرأ هذا الكلام ترتكب المعاصي، كيف تستطيع أن تلفظ من فمك شتيمة بعد هذا؟ كيف تستعين بنعم الله على معصية الله! فهو ينعم عليك بالنعم وحين تستخدمها تستخدمها بمعصية، كيف ستقابله يوم القيامة، كيف ستقف بين يديه يوم القيامة، ماذا ستقول له، كيف وهو يحفظك إلى الآن، سبحان الله تعالى!

انظر لشيء آخر عجيب، بعد أن يهضم الأكل تبدأ العروق الدموية بأخذ الأكل - وهي عروق منتشرة في جميع أنحاء الجسم وتصل إلى كل ذرة في الجسد - وتوصل المائع من الطعام لكل أجزاء الجسد حتى لا يبقى عضو في جسمك إلا وقد استفاد، فمن الذي أوصل الغذاء إلى هذه العروق؟

ثم انظر إلى المخ حيث يوجد ألف مليون خلية عصبية موصولة بأسلاك، وهذه الأسلاك عبارة عن أنسجة عصبية تصل إلى كل أجزاء الجسد، وهذه الأنسجة هي عبارة عن أجهزة إرسال واستقبال، تلتقط المعلومة وترسلها للمخ فيرد المخ عليها، وتتم عملية أخذ المعلومة وردها بسرعة إرسال واستقبال تبلغ سبعين ميلاً في الساعة، يعني جزء من جزء من جزء من الثانية داخل جسمك لدرجة أن المخ ومن دون أن تلاحظ يلتقط بسرعة كل العوارض...

ويقول العلماء: إنه لأجل إدارة العمليات التي تحصل داخل المخ باستخدام أجهزة كمبيوتر فنحن بحاجة لمساحة لوضع هذه الأجهزة بحجم مدينة نيويورك... تخيَّل هذا المكان الصغير داخل دماغك ماذا يتم داخله! فسبحان الذي جمع في هذا المكان الضئيل الصغير كل هذه القدرة...

وبعد هذا يأتي قائل ويقول: أنا لست مقتنعاً أن الله قد أمرني

بهذا العمل!!.. من أنت؟ ما هو حجمك! يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21].. أنت لا تبصر نفسك؟ تأمَّل نفسك لتعلم قدرة الله عز وجل.

يقول العلماء: أنه يوجد في الأذن – حتى تستطيع أن تسمع – عشرة آلاف خلية سمعية، عشرة آلاف خلية حتى يصل إليك الصوت بالنقاء الذي يصلك به.

ويوجد داخل العين مائة وثلاثين مليون خلية ملتقطة للضوء، داخل هذا المكان الصغير.

وحتى تستطيع أن تمشي يطلب تناسق دقيق بين مائتي عضلة – في كل خطوة – وحتى تقوم برفع يدك وإنزالها فإن خمسين عضلةً تتحرك بالاتفاق مع المخ.

وحتى تستطيع المشي فهناك مائتي عضلة تتحرك، منها أربعين عضلة حتى تستطيع أن تحرك رجلك للأمام، أنت تفعل كل هذه الأمور بقدرة الله عز وجل.. من فضل ربنا أن هذه المعلومات العلمية أصبحت بمتناولنا حتى ترى مدى قدرة الله فينا ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾.

وحتى تستطيع الكلام فإن معدَّل اهتزاز الأحبال الصوتية مائة وأربعين هزة في الثانية.

وحتى تستطيع الكلام، يحرك اللسان سبع عشرة عضلة، والشفاه تحرك أربع وعشرين عضلة، فهل علمت معنى قول الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: 23] فما الذي جعل الله تعالى يقسم بالنطق، فكما تنطقون فإن كلام الله حق، لأن النطق بحد ذاته معجزة من معجزات الله عز وجل.

والواقع حتى تنتهي من الكلام عن المعجزات الموجودة في جسم الإنسان فنحن بحاجة لسنوات طويلة ولن ننتهي!

يقول الله تعالى: ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ...﴾ [الفرقان: 6] من الذي يعلم أسرار السماوات والأرض؟ الله عز وجل.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ...﴾ [فصلت: 53].

ويقول عز وجل: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ...﴾ [النمل: 93] هل عرفتموه، سيريكم آياته وستعرفون أن هذه صنعة الله عز وجل الذي أتقن كل شيء...

قد يكون هذا الكلام ليس غنياً من ناحية الكلام الرقيق لأن

العبارات العلمية قد تكون جافة بعض الشيء، ولكن يبقى هدف هذا الكلام أن تتفكر في ضعفك، وتتفكر كم أنك مسكين وضعيف... وأسألك بعد أن تتفكر يا من كنت نطفة أو علقة أو مضغة، يا ضعيفاً كل الضعف، يا من لا قيمة له بدون الله تبارك وتعالى.. أقول لك: هل فهمت الآن معنى قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: 131] حين قال الله عز وجل لإبراهيم: أسلم يا إبراهيم، وأسلم معناها استسلم لأمري يا إبراهيم، ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ...﴾ فرد مباشرة سيدنا إبراهيم ﴿... قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

لا يعني هذا الكلام أنك لن تعصي ولكن معناه أنك ستجاهد نفسك ضد المعصية لأنك عرفت قدر الله عز وجل.. الذين يقرأون هذا الكلام ولا يزالون غافلين عن الله عز وجل.. فهل سيذكرهم هذا الكلام بالله.. الذين يعيشون حياتهم ليأكلوا ويشربوا ويتزوجوا ويخلفوا ويموتوا.. فالذي يعيش ليأكل ما الفرق بينه وبين كثير من الحيوانات التي تأكل أكثر منه؟! والذي يعيش لينجب ما الفرق بينه وبين الأرنب فعلى أقل تقدير أنه ينجب أكثر منك... لماذا تعيش!

إننا خلقنا في هذه الدنيا حتى نعرف الله ونحب الله.. كل هذه النعم وكل هذه القدرة ولا تعرف الله حتى الآن..

يقول الله عز وجل: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿59﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ...﴾ [الأنعام: 59].

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ...﴾ [الأنعام: 61].

اعرفوا قدر الله عز وجل ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67].

أما أعجب شيء فيك، أعجب من جميع ما ذكر: الروح!

كيف دخلت الروح داخلك، كيف تستشعر وكيف يأتى إحساسك، لماذا تتأثر بالقرآن، ما هى ماهية الروح ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85].

يقول النبي ﷺ: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح..."[1].

(1) أخرجه البخاري (3208)، ومسلم (2643) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

نحن فقراء جداً، نحن لا نساوي شيئاً، فنحن جميعاً لا نملك شيئاً وفعلاً ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ في منتهى الضعف..

"... ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد" وسيصل الملك بعدها ويأخذ منك الروح...

سبحان الله ما أضعفك... ارجعوا إلى الله عز وجل، ولا ترى أن لنفسك قيمة فأنت مخلوق ضعيف، ولا تغتر بالدنيا ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: 6].

اعرف حجمك وعد إلى مولاك، عد إلى خالقك، اتصل بالله عز وجل، أطع الله ليل نهار... اسجد واعبده واعرف فضله عليك تبارك وتعالى ﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: 68]، ثم تذكّر أيها الإنسان الذي كنت نطفة وشق سمعك وبصرك أنك ستعود وستقف بين يدي الله عز وجل.

هل أنت اليوم أشد ضعفاً أم يوم تكون واقفاً بين يدي الله عز وجل وهو يقول لك: "عبدي ألم أخلقك ألم أسويك بيدي ألم أرزقك ألم أعطك كذا ألم أنعم عليك بكذا".

فأنا كلما أتخيل أنني واقف بين يدي الله عز وجل، ضعيفاً

مسكيناً عارياً أمسك كتابي وهو يقول لي وليس بيني وبينه ترجمان: "عبدي ما غرَّك بي، استهونت بلقائي، أكنت عليك هين، أما كنت تعلم أنك ستقابلني اليوم، أنسيت يوم الحساب، استهونت بي يا عبدي، ألم أكن رقيباً على عينيك، ألم أكن رقيباً على شفتيك، ألم أكن رقيباً على قدميك، ألم أكن رقيباً على يديك، لم نظرت إلى الحرام يا عبدي..." ماذا ستقول؟ لِمَ أكلت من المال الحرام يا عبدي، لما كشفتِ جسمك... لِمَ فعلت الحرام، لِمَ لَمْ تعبدني، لِمَ لَمْ تسجد لي.. ألم آمرك بالصلوات الخمس، لِمَ لم تؤديها إلي في وقتها؟ لِمَ لَمْ تقم لصلاة الفجر، لِمَ لَمْ تعبدني.. ماذا ستقول!

يقول سيدنا علي بن أبي طالب: "إني أعلم أقوام يتمنون أن يقذف بهم في نار جهنم ولا يقفون بين يدي الله عز وجل".

وهناك أشخاص سيسقط لحم وجوههم خجلاً.. حين يكون أحدهم واقفاً بين يدي الله، يقع لحم وجهه كلما يقرأ كتابه ويجد فيه مصيبة...

نحن فعلاً ضعفاء ومساكين، وليس لنا إلا الله، احذر أن تغرك الدنيا وتأخذك ويكون كل أملك شقة وسيارة وفيلماً تشاهده وموضة ترتديها..

السعادة في الجنة، تخيَّل فرحتك بالله وفرحة الله بك وهو يقول

لك: ادخل يا عبدي الجنة... أي دنيا هذه التي غرَّتنا؟ وأي دنيا هذه التي ضحكت علينا ومع كل هذا لا نستطيع مقاومتها، فلنصبر ثلاثين أو أربعين سنة... فبعد ثلاثين أو أربعين أو خمسين سنة لن يبقى واحد منا على الأرض فكلنا سنصبح تحت التراب.. فلا تفرحوا بالدنيا فكلنا سنمضي ونتركها، أي دنيا هذه التي لا نستطيع فيها أن نقاوم المعاصي، فكل يوم يُبعثُ إلي بسؤال: أنا عاجز عن مقاومة المعصية، أنا عاجزة عن لبس الحجاب، أنا عاجز عن بر والدي.. فمتى ستستطيع؟ لو لم نجاهد أنفسنا الآن متى سنستطيع ذلك! فهذه الدنيا قصيرة جداً جداً، حين أقول هذا الكلام أقوله من قلبي وأنا أخاف على نفسي وأخاف عليكم.. أنا أخاف أن يقرأ بعض الناس هذا الكلام ولا يتغير بهم شيئاً... خافوا على أنفسكم..

احذري أيتها الفتاة من الاغترار بصديقاتك ماذا يفعلن أو أين يسهرن والكلام في الموضة والحرية والشباب والسهرات و.. و... و... فليفرح الشباب والبنات كما يريدون.

ولكن اعرفوا هذه الآية ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: 58] يوم ستفرح لله ستكون سعادتك أفضل بمليون مرة.

أذكرك بقول الحسن البصري ومالك بن دينار: "أيها العبد

العاصي عد إلى مولاك، أيها العبد الهارب عد إلى مولاك، أيها العبد الآبق عد إلى مولاك، مولاك يناديك بالليل والنهار يقول: أين تذهب ألك رب سواي، يقول لك: من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، مولاك يفرح بتوبتك، مولاك يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، مولاك ينادي كل ليلة هل تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له، مولاك ينادي عليك ويقول: يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة، مولاك يناديك ويقول لك: لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك.." سبحان الله سبحان الله سبحان الله.

تم الكتاب بحمد الله

مع تحيات أختكم : الباحثة عن الحكمة

من نادي القراءة - لجنة صناع الإبداع

في منتديات عشاق القمم www.alqemam.org

مع عشاق القمم : طور نفسك ** اصنع مجدك ** فالقادم أروع

ياسماء الكون خبري كل الأمم : نحن للدين حماة ** نحن عشاق القمم